بشيء من الثقة ، اذ اصبح لحساب « الصح والخطأ » مضمون أرقى ، يقوم على ادراك موضوعي بقوانين رسوم الاطفال وخصائصها خلال مراحل النمو المختلفة . وقد ظهر هذا بشكل تدريجي من خلال تبلور خبرة الطفل في تعامله مع اللون وحركة الذراع ، وتخير الاوضاع المناسبة ، واستخدام المساحات اللونية بادراك جمالي خاص، بصورة افضل عما كانت عليه . كما اظهرت محاولات الاطفال المتعددة في الرسم كل ما يميز رسوم الاطفال بعيدا عن التربية التي تعتمد على الامثلة من حيث طرق المعالجة المميزة للاطفال ، كمحاولة التمثيل الزماني والمكاني ، التسطيح ، الشفافية ، تخير الاوضاع النموذجية ، والمبالغات ... الخ، اي كل ما يعرف من ظواهر في رسوم الاطفال في العالم . وقد عكست هذه المحاولات ، على تراوح، حالات متفاوتة من المعالجة المميزة لكل مرحلة من النمو والتطور العام عند الاطفال، وخبرته بالتعبير.

٧. ضمن شروط هذه التجربة ، التي كفلت تحرر الاطفال جماليا ونفسيا فقد حققت التجربة نتائج جيدة ، عبرت عن نفسها من خلال الرسوم التي جمعت ، اذ تمثلت كل نزق وكبرياء وصلف عند الاطفال في تخيرهم للموضوعات الخاصة بهم ، ملامستهم للحياة المعاشة في المخيم بواقعية حالمة ، الاسرة ، المدرسة ، المخيم ، السوق ، ذكرى الحرب والتجربة المشحونة بالانفعال : طائرات ، طائرات ، طائرات ملحة في وجدانهم واذهانهم ، الفدائي والحياة في المخيم ... الخ . هذه الملامسة الرقيقة للواقع ، اعطت رسوما خصبة بكانة موضوعاتها واستعطت كافة الاشكال والنماذج « الرسمية » من هذه الصور . غير انه لا بد من الاشارة ، الى ان هذه الحرية في التعبير ، لا تعني اتخاذنا موقفا سلبيا من الاطفال ، فقد كانوا خاضعين لمتابعة دائمة ، تهدف بالنتيجة الى تحسين معالجة الاطفال ، وبلورة خبرات الاطفال بخامات اللون والاستفادة من طبيعتها وخصائصها ، كما كانت تسجل ملاحظات مختلفة ، حول الاخطاء الشائعة ، والخبرات الاولية ، وملامح كل مرحلة ، وحول الرسوم الملفتة للنظر ، حيث يتابع اصحابها لمعرفة مدى تقدمهم في كل شوط من اشواط التجربة، الخ .

٨. تتضمن الملاحظات التي تسجل على الوجه الآخر من الصورة : اسم الطفل ، العمر الزمني ، الجنس ، الصف الدراسي ، وملاحظات خاصة بالرسوم ، واسم الصورة او ملاحظات الطفل حول رسومه . وفي نهاية كل يوم ، تقوم عملية فرز اولية ، حيث تقسم هذه الرسوم الى مجموعات حسب السن ، ثم تقيم في مستويات (متفوقة ، عادية ، ضعيفة) وتحفظ قوائم بأسماء الاطفال المتفوقين ، الذين كانوا يكلفون بتنفيذ لوحات اكبر حجما ، ويزودون بالالوان وبورق الرسم اثناء فراغهم من الدراسة .

٩. في المرحلة النهائية من التجربة ، تمكنا من استخدام غرفة صغيرة مستقلة كمرسم للاطفال . ونفذت فيها الرسوم ذات الاحجام الكبيرة ، والتي تحتاج عمل عدة مرات . واصبحت الموضوعات أكثر تحديدا ، كما باتت المعالجة ارقى من جوانب متعددة . وفي تشرين الثاني ١٩٦٨ ، اي بعد ثلاثة أشهر من بدء التجربة ، تمت عمليات الفرز النهائية، حيث جمعت مئات الرسوم المقننة حسب الجنس والسن ، ثم جرى فرز نهائي ، اختيرت على أساسه ما يقرب الاربعمائة لوحة من احجام مختلفة ، صنفت الى مراحل تبعا للنمو الفني عند الاطفال . كما وضعت بضعة ملاحظات عامة حول كل مرحلة ، عرضت الى جانب الرسوم ، كي تساعد الزائرين في تتبع نمو الاطفال الفني والذهني، في ٢١ — ٢٤ تشرين الثاني ١٩٦٨ ، وكانت هذه هي المرة الاولى التي تجمع فيها وتعرض رسوم الاطفال الفلسطينيين في المخيمات في الاردن .

مراحل نمو التعبير الفني عند الاطفال الفلسطينيين

تتصل الاساليب المستخدمة في دراسة رسوم الاطفال مع المناهج السوسيولوجية والسايكولوجية في البحث. لان رسوم الاطفال باتت ذات قيمة اجتماعية ونفسية ملموسة في واقعنا المعاصر ، بل باتت هذه الرسوم أداة من ادوات البحث في ميدان علم النفس التجريبي والمخبري ، كادت ان لا ترى فيها قيمة جمالية وثقافية ما ، كما اشرنا الى ذلك اشارات عابرة . وتتطلب محاولتنا لتتبع مراحل نمو التعبير الفني عند الاطفال الفلسطينيين ان نشير الى منهج التجربة ، مقارنة مع التجارب الاخرى . وغالبا ما اعتمدت التجارب والدراسات التي أجريت على رسوم الاطفال ، على واحد من المناهج الاربعة الرئيسية التالية : أ — منهج يعتمد على الملاحظة المباشرة العرضية ، ب — منهج يعتمد على